14 أكتوبر
14 OCTOBER
يومية - سياسية - عامة
www.14october.com

الخميس - 13 يناير 2010 - العدد 15052
Thursday -13 January 2011 - Issue 15052

www.14october.com

قناة (الجزيرة) ومحاولة تأصيل ما ليس بأصيل

أحمد مثنى

أيتها السماء أفيقي على قاطني هذا الكوكب بالخير والمحبة والألفة، فهم في جزء منك أتى عليهم الجفاف وتصحر ربعهم وأدمتهم هواجس غريبة يخيل إليهم من خلالها أن ذلك ذات صلة بأمور دينهم وإسلامهم الحنيف الذي تحدى كل الأعاصير في قرون خلت، تحداها بدعوته إلى الألفة والمحبة.

تحداها بسماحة ما أتى به تجاه مختلف الديانات السماوية وغير السماوية!!

إذ قال تعالى: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة».

وقال المولى :«ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك».

وما نلاحظه في أيامنا هذه هو حرص "قناة الجزيرة" على أن تؤجج الشعور المناهض والمجافي للدول الغربية وخصوصا دولة فرنسا الصديقة التي ضاقت ذرعا بالنقاب. والملاحظ أن "قناة الجزيرة" تعتقد أن هذا النقاب على صلة بالتدين وبالإسلام الحنيف وذلك من خلال التتبع الشديد والملاحقة للمال الذي آل إليه النقاب في هذا البلد في محاولة جادة لتأصيل هذا الأمر، وكما لو كان هذا المسمى (النقاب) هو أحد أركان الإسلام، أو أن دولة فرنسا حين تسن مثل هذه القوانين لمنع هذا الدخيل عليها المسمى النقاب في المحلات العامة، إنما هي تفعل ذلك بقصد الإساءة للإسلام والمسلمين، في حين أن الحال قد ضاق بهذا النقاب في العديد من الدول العربية والإسلامية، فما بالك بدولة مثل فرنسا.

هذا هو ما تحرص "قناة الجزيرة" على أن توصله في خطابها الإعلامي وتأصيله فقهيا.

و"الجزيرة" قناة عربية يحرص ليس كل عربي أن يشاهدها ويستمع إلى ما يصدر عنها، بل ربما الكثيرون من غير العرب يهتمون ويعطونها جزءا من أوقاتهم للاستماع إلى ما يصدر عنها، وهي بحق "قناة" تمتلك من الإمكانيات والقدرات ما يجعل المشاهد أسيرا لهذه القناة ومتتبعا لمجمل ما تقدمه إن لم يكن برنامجها الإخباري الذي يحيط فيه المشاهد ويطلع على مختلف الأحداث العربية والعالمية، دون انحياز إلا في ما ندر، وخصوصا مسألة هذا المسمى النقاب.

فما هي الأبعاد لتبني "قناة الجزيرة" لمسألة النقاب في بلد غربية مثل فرنسا؟؟.

وهل هو الوازع الديني حقيقة كما يحرصون أن يوهمونا أم أن وراء الأكمة ما وراءها، وهل هذا المسمى (النقاب) هو من الإسلام حقيقة؟؟ أم هو وافد من تركيا ولا تربطه أية علاقة بالبلاد العربية والإسلامية وأضحى من التقاليد الاجتماعية التي تلعب الذكورة فيها دورا مهما في الحياة.

ومن ثم فهل هذا النقاب الذي أقام الدنيا وأقعدها في "قناة الجزيرة" هو محل إجماع علماء الأمة، أم هو محل خلاف من منطلق المصادر الأساسية لدين الله وشريعته السمحة؟؟. وهل هو حقا، أي – النقاب – يقي المرأة – من أن تقع في المحظور؟؟ وهل هذا المحظور مصدره المرأة فقط دون الرجل؟؟.

الملاحظ في ما نقرؤه ونسمعه ونشاهده من بعض المتفقهين الذين تسيطر عليهم المسألة الذكورية وأذهانهم لا تحيط بعلوم التشريع الصحيحة أنهم بالحق وبالباطل يحرصون على تأصيل بعض الأفكار والمفاهيم التي ربما لا تمت إلى الإسلام الحنيف بصلة.

فمنذ ما يقارب العقود الثلاثة أو الأربعة، ونحن نسمع ونعبأ أو بالأصح شبابنا بتلك الفتاوى والأفكار، أي منذ التفويج إلى أفغانستان من مختلف البلاد العربية والإسلامية، ومنذ الدعوة الأمريكية إلى محاربة الشيوعية التي أضحت قاب قوسين أو أدنى من الدول العربية والإسلامية.

حيث قدمت الدولة الكبرى أمريكا مختلف التسهيلات وقامت بالتدريب على فنون القتال وخصوصا حرب العصابات وقدمت السلاح بأموال عربية لتلك المجاميع وسهلت لها كل المعلومات الاستخباراتية من أجل أن تنال من قدرات الاتحاد السوفيتي آنذاك وتعمل تلك المجاميع على فك الحصار عن الإسلام والمسلمين، كما زعمت أمريكا وتوهم العرب أو الحكام العرب بالأصح الذين انطلت عليهم تلك المزاعم الأمريكية أوهم من كان يهمهم أمر أمريكا المسكينة المتفانية في خدمة القضية الإسلامية والعربية، غير مدركين لأبعاد هذه المزاعم التي لا يراد لها إلا أن تسير وفق الإستراتيجية التي تصب بكل المقاييس في عمق المصالح الأمريكية والحلفاء وخصوصا إسرائيل التي تعتبر إحدى الولايات الأمريكية المهمة بل ورأس الحربة لحماية تلك المصالح في المنطقة.

وفي تلك الأثناء سمعنا العديد من الفتاوى وعايشنا الكثير من تلك الفتاوى التي لا تحرم ما أحل المولى عز وجل فقط بل تذهب في مغالاتها وتطرفها إلى حد بلغ بها الإساءة الشنيعة للإسلام والمسلمين.

الإسلام الذي عرف على مدى ألف وأربعة قرون ونيف بوسطيته وتسامحه وترفعه عن الحط أو الاستخفاف بقدر الإنسان والعقل الإنساني، بل لقد جعل منه خليفة على الأرض، وجعل من عقله حكما في مسائل تتعلق بالتدبر والتفكر والتدين وأحاطه بعنايته وسخر له مختلف العلوم والمعارف لتكون جميع أفعاله وتصرفاته محكومة وفق تلك العناية وعلى أساس من تلك المعارف والعلوم الإنسانية التي تختلف من شخص إلى آخر، ومن أمة إلى أخرى وبالقدر الذي أتيح لها أن تنهل من المعارف العلمية والفلسفية والشرعية واللغوية.

أو أن تقتصر هذه المعارف على أمور دون أخرى بما يجعل المعرفة قاصرة أو أنها تتجه صوب الضيق على الحياة بأبعادها الواسعة والمتنوعة وهو الأمر الذي حدا ببعض النفر إلى الفتوى بتحريم الغناء وتحريم المسرح والرسومات والصور الفوتوغرافية والفنون التشكيلية والنحت، بل لقد ذهب بعض في تطرفهم ومغالاتهم إلى تحريم قطع الخيار والباذنجان على المرأة أو حلب البقرة.

وليت الأمر قد اقتصر على ذلك فقط، بل لقد ذهب هؤلاء إلى إلغاء الكثير من المواد الدراسية المهمة في حياة البشر ووجداناتهم مثل مادة الفلسفة ومادة التربية الموسيقية ومادة الرسم وخلاف ذلك من المواد الدراسية التي أحطنا بها في أيام خلت من ذلك العصر الرجعي المتخلف.

هكذا بلغ الحد بهؤلاء النفر من الاستخفاف بعقول الناس وآدميتهم إلى الإساءات الفظيعة إلى الإسلام وعلى ذلك قس إذ أن هناك من يفتي بعدم كشف وجه المرأة ويعتبر ذلك فجورا وكفرا، بل لقد ذهب بعض هؤلاء إلى تحريم كشف وجه الزوجة على أخي الزوج أو أبيه أو أحد أقاربه.

وهناك العديد من الفتاوى التي تتعمد استلاب الإنسان عقله وتجعل منه عبارة عن وعاء عليه، أن يستقبل كل ما يتقيأه أمثال هؤلاء النفر، وهناك الكثير من الأمثلة نسوق بعضا منها ليكون المسلم على بينة من أمره.

فهناك جناحا الذباب اللذان يكون في أحدهما الداء وفي الآخر الدواء، وهناك فتوى التداوي ببول الناقة، ونحن نعلم وعلى لسان العلامة القرضاوي أن الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم، كان إذا حضر أحدهم وشكا من ألم في جسده فقد كان ينصحه بالتوجه إلى الطبيب للتداوي، وأخيرا ما تقيأ به أحد (الأزاهر) وما أساء به إلى منارة الأزهر ذلك الصرح العلمي والشرعي والأدبي الشامخ منذ قرون خلت.

تلك الفتوى سيئة الصيت المتعلقة بممارسة التحرش الجنسي صراحة وعلنا، حيث حرم التقاء موظف وموظفة تحت سقف واحد؛ إلا إذا مكنت الموظفة زميلها الموظف من مص ثدييها خمس مرات، فهنا ينتفي التحريم ويستبعد الحرج ويمكن لهما أن يعملا تحت سقف واحد وخلوة.

وهناك العديد من الفتاوى المتعلقة بالقطط والكلاب الأليفة وحرمة عيشها داخل المنازل، بل لقد ذهب البعض في مغالاتهم إلى تحريم التحف والدببة من لعب الأطفال واعتبر ذلك جرما لا يغتفر.

والسؤال الذي يجب أن يدوي وتتلقى صداه جبال العروبة الشامخة شموخ جبال اليمن ووديانها، وسهولها وشطآنها هو أين علماء الأمة من هذا الاستخفاف بعقول الناس؟؟.

وأين هم من الفتاوى التي أوردنا بعضا من التي ما أنزل الله بها من سلطان ؟؟

ولماذا هذا الصمت الرهيب والمشين عما يصدر عن هؤلاء النفر؟؟.

وليت الأمر مقتصر على ذلك وفي حدود بعض تلك الأحاديث الضعيفة أو المكذوب عليها والمدسوسة على أنها من أحاديث رسول الرحمة، بل لقد تمادى البعض في تفسير آيات القرآن الكريم وابتسار الآيات بما يتواءم مع مقاضاة هؤلاء البعض ومبتغاهم أو بما يشبع رغباتهم.

وعلى سبيل المثال فهم يفسرون آيات التعدد للزوجات وفق تلك الرغبة إذ يقولون، يقول المولى : «وانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع».

وكما يقول المفسرون بأن الآية يجب أن يشار إليها من النجمة إلى النجمة ومن ثم يمكن تفسيرها والآية من النجمة هي.

يقول المولى عز وجل : (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع... الخ).

وأن يكون في هذا السياق يختلف تفسيرها، إذ يقول عدد من المفسرين المعاصرين بأن من أراد الزواج من امرأة أخرى فعليه أن يتزوج من امرأة مطلقة ولديها من الأولاد ما ليس في مقدرتها أو أسرتها من إعالتهم والنفقة عليهم، وبهذا الزواج إن كان قادرا يتحقق العدل والمساواة في النفقة عليها وعلى أولادها كون أولادها يكونون في حكم اليتامى بالنسبة للزوج، وكذا أولاده يكونون بالنسبة إليها وبهذا تتحقق عدالة التشريع المطلوبة التي هي أساس التشريع الإلهي وأساس المساواة التي أبرز الإسلام وجهها المضيء بينما نحن نحرص على أن نخفت إضاءته وإشراقاته.

هذا ما ذهب إليه بعض المفسرين المعاصرين وعلى رأسهم العلامة والهندي محمد شحرور في كتابه القيم، الكتاب والقرآن.

وهو حقيقة قد أعاد الاعتبار للعديد من التفسيرات والآراء الفقهية التي لم توفق في إعطاء بعض التفسيرات بما ينسجم مع العدالة التي رامها التشريع فقط، بل أعادت الاعتبار للعدل وحقوق الإنسان التي يدعون إليها في أيامنا هذه.

ولعل في ما ذهب إليه بعض العلماء في بلادنا حول إباحة زواج القاصرات يندرج ضمن فهم السلف الصالح حيث كان يعم الجهل الكثير من البلاد العربية والإسلامية إن لم يكن جميعها، وكذلك الفقر المدقع الذي يفتك ببعض المجتمعات العربية.

مبارك يا نساء اليمن

د . الهام باشراحيل

لا جدال في أهمية الدور الذي يجب أن تقوم به المرأة المسلمة في مجتمعنا المعاصر وتكاد تتساوى مع الرجل، وقد استطاعت أن تثبت جدارتها في ميادين العمل وتلقت العلوم فنالت أعلى الشهادات العلمية في مختلف المجالات بجدارة. هذا في الجانب العملي، أما دورها الرئيسي والاهم هو الأسرة التي تعد المرأة عمودها الفقري الذي بكسره تنكسر الأسرة وتنهار، وبنجاحها المستمر بقيامها القوي والمتين تعبر الأسرة إلى بر الأمان.

لقد سطرت إنجازات المرأة في كل المجتمعات وأعطت العلم والمعرفة وفي جميع المجالات، كانت ولاتزال ملكة وشاعرة وأديبة وعالمة ومحاربة في ساحات القتال، لقد ساهمت المرأة في مجتمعنا الإسلامي مساهمة فعالة وبكل طاقاتها في رعاية بيتها وأفراد أسرتها، فهي الأم التي تقع على عاتقها مسؤولية تربية الأجيال القادمة، وهي الزوجة التي تدير وتوجه اقتصاد البيت، وهذا يجعل الدور الذي تقوم به المرأة في بناء المجتمع دوراً لا يمكن أن نغض البصر عنه أونقلل من شأنه.

حقوق الأفراد داخل المجتمع، المتمثلة في شؤون الحكم والإدارة، ومنها التمتع بحق الانتخاب والترشح لعضوية المجالس النيابية كالمبرلمان، وهي من أهم الأجهزة المشاركة في صناعة القرار في الدولة تلك الحقوق تشمل المرأة لذلك فمن حقها تولي المناصب العامة، المساواة في المجالات السياسية والاقتصادية، فوجودها داخل البرلمان سوف يساعد في إيجاد الحلول لبعض المشاكل والقضايا المتعلقة بالمرأة، وأيضاً كل القضايا التي تخص الرجل والمرأة، باعتبارها القلب النابض للمجتمع.

اليمن فيها كفاءات نسائية كثيرة ومن حقهن المشاركة في صنع القرار، يجب علينا مساندتها وتشجيعها والوقوف بجانبها في الحملات الانتخابية، لقوله تعالى ((والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)).

مشاركة المرأة في الحياة السياسية أصبحت ضرورة ملحة في المجتمعات، والترشيح لا يقتصر على الرجل، وإنما للنساء أحقية أيضاً حتى تكون المعادلة متساوية، وقاعدة التمثيل في المؤسسة البرلمانية يجب أن تشمل جميع شرائح المجتمع، باعتبار تمثيل ومشاركة المرأة في الهيئة البرلمانية يزيد من عمق المفاهيم والانتماء الوطني، ويعطي دافعية للإنتاج لدى المواطنين خاصة النساء.

فمبروك عليكن يا نساء اليمن هذا الفوز العظيم وهذا الكم الكبير من المقاعد.

مبروك عليك يا يمانية يا ناشطة ياقيادية مع الرجاء بألا تصيبنا بخيبة أمل أبدية عند جلوسك على المقاعد البرلمانية.

مبروك عليكن التعديل يا نساء القرن الواحد والعشرين.

عن أية امرأة يتحدثون؟

علي محمد فخرو

إنه سؤال نضطر بين الحين والآخر إلى طرحه على من يتنطعون للإفتاء والاجتهاد بحق المرأة المسلمة في ساحة الفقه الإسلامي: عن أية امرأة يتحدثون؟ عن امرأة التاريخ الجاهلي الغابر، أم عن امرأة الواقع العربي الإسلامي الحاضر؟

دعنا أولا، من أجل تبرئة دين الإسلام العظيم وفصله عن كثير ممن يتحدثون باسمه، أن نستعير الجملة التالية المعبرة للشيخ الطاهر الحداد، وهو أحد أهم رواد الإصلاح الإسلامي في تونس، يقول الشيخ الطاهر:"إنما الإسلام دين الواقع وبتطوره يتطور، وذلك سر خلوده، وليس في نصوص القرآن ما يمنع المرأة من تولي أي عمل في الدولة أو المجتمع مهما كان هذا العمل عظيما، وهذا يدل على أن هذه المسائل (مسائل عملها) ليست من جوهر الإسلام، وإلا ما كان ليخلو القرآن من بيانها على الوجه المطلوب" .

نحن إذا، أمام حقيقة واضحة إلى أبعد الحدود، وهي أن القرآن الذي تحدث في تفاصيل شؤون نسائية كثيرة من مثل الزواج والطلاق والإرث والأمومة، بل وحتى اللباس، لم يدخل لا من قريب ولا بعيد في تفاصيل عملها، وأنه لحكمة إلهية تركه لمقتضيات التطور وتبدل الأحوال، فإذا كان الأمر كذلك فمن أين جاءت بدعة تصنيف الأعمال والنشاطات الحياتية المشروعة إلى أعمال ونشاطات تصلح للرجال من دون النساء أو العكس؟ نحن هنا معنيون على الأخص بالسيل المنهمر من مثل تلك الفتاوى التي تصدر في بعض مجتمعات دول مجلس التعاون التي بسبب ثرائها وقدرتها على تجييش ونشر الألوف المؤلفة من مروجي تلك الفتاوى في طول بلاد العرب والإسلام وعرضها، تسهم بقصد أو بغير قصد في إعاقة نهوض واستقلالية وحيوية وإبداع المرأة المسلمة .

لقد درس الكثيرون من الباحثين والمفكرين الإسلاميين المتزنين الموضوعيين موضوع تعامل الإسلام مع المرأة، وأظهروا القفزة النوعية الحقوقية التي نقلت المرأة العربية الموءودة المحتقرة المهانة المشتراة والمباعة كالبضاعة قبل الإسلام، إلى المرأة المكرمة التي لها الكثير من الحقوق الجديدة، ولقد أكد هؤلاء أن الإسلام مثلما تعامل مع كثير من المسائل بأسلوب التدرج والتطور، كما فعل في موضوعات الخمر والرق، وكثير من العادات القبلية الجاهلية المذمومة، فإنه فعل الأمر نفسه مع وضع المرأة الذي كان قبل مجيء الإسلام في الحضيض .

فالإسلام تعامل مع الواقع بعبقرية وتؤدة وروح تطوير، لكن كثيرا من علماء الإسلام وفقهائه لم يراعوا ذلك، وغلبتهم النفسية التاريخية الماقبل إسلامية الدونية تجاه المرأة .

هذا ما يقوله الإسلام، فماذا يقول الواقع الحالي للمرأة العربية المسلمة؟ إنه يقول بالإحصاءات الموثقة، كما تؤكدها الكاتبة المغربية فاطمة المرنيسي، بأن النساء يشغلن أربعين في المئة من المناصب العلمية والتقنية في إندونيسيا، وخمسة وأربعين في المئة في ماليزيا، وزهاء اثنين وثلاثين في المئة في المغرب العربي، وقريب من هذه النسب في كثير من بلاد العرب والإسلام .

فإذا علمنا أن المجالات التي تتحدث عنها تلك الإحصاءات، حسب اليونسكو تشمل الاختصاصيين والفنيين في العلوم الفيزيائية والهندسة والطب والرياضيات وعلوم البيولوجيا وعلوم السياسة والاقتصاد والمحاسبة والقانون والإعلام والصحافة والآداب وعلوم الطيران والبحار، أدركنا اتساع الرقعة وارتفاع المستوى اللذين وصلت إليهما القفزة النسوية الحضارية التي بدأ بها الإسلام، عندما أعطى المرأة حقوق التملك والميراث والاستقلالية في المال والزواج وغيرها، ثم طورتها الأزمنة وجهود المرأة وعبقريتها وطموحاتها، فإذا أضفنا إلى ذلك مئات المهن المتوسطة التي دخلتها المرأة بقوة وثبات، تبين لنا فقر وبلادة وظلم من يحاولون من الذكور تحديد مساحة العمل والإنتاج والإبداع التي تستطيع المرأة ولوجها، من هنا نسأل هؤلاء: هل يعيشون في كوكب زحل أم فوق هذه الأرض؟ وهل ينتمون إلى أصحاب الكهف وهم يغطون في نوم عميق خارج الزمان والمكان؟

لكن السؤال الأهم يجب أن يوجه إلى مسؤولي تلك المجتمعات التي تعشش فيها مثل هذه الثرثرات الفقهية: ألم تسمعوا أن الفقيه المبدع الإمام أبا حنيفة قد أجاز للمرأة أن تجلس على كرسي القضاء منذ أكثر من اثني عشر قرنا؟ إذا، فهل ستسمعون إلى من يضن على المرأة العربية أن تعمل كمحاسبة في متجر تحت دعوى الحفاظ على شرفها؟ هل ستلتزمون روح المساواة والكرامة والحرية التي جاء بها الإسلام للرجل والمرأة على السواء، وتحترمون المواثيق الدولية التي تؤكد حق المرأة والرجل في شغل كل عمل شريف بحرية تامة وباستقلالية؟ أم أنكم ستسايرون القراءة المتخلفة البليدة الظالمة لدين الحق والميزان والقسطاس، دين الإسلام العظيم؟

وأخيرا، ألن تستطيع الدول الإسلامية حل إشكالية "الفتاوى القطرية" التي تجعل الإسلام وكأنه أديان مختلفة لدول مختلفة؟ وبهذا تزيد هذه الإشكالية في البلبلة الفقهية التي طال عليها الزمن وغدت معضلة إسلامية عصرية بامتياز . أيها الإسلام، كم من الجرائم ترتكب باسمك، أيتها المرأة المسلمة كم من العقد النفسية الذكورية لا تجد طريقها إلا إلى باب بيتك .

كاتب بحريني

عزيزي الأب

متابعتك لأطفالك وتربيتهم ومتابعة سلوكياتهم اليومية يقيهم كثير من المخاطر والأضرار